الفصل السابع

الإسلام برىء من صراع الطبقات

إن الله سبحانه وتعالى حينما حدد الصلة بين المسلم والمسلم قال :

(إنما المؤمنون إخوة) .

وهذه الأخوة بدأ ينفذها رسول الله ﷺ لأول عهده بالرسالة الإسلامية واستمر يتحدث عنها كلما سنحت الفرصة طيلة حياته .

ومن أحاديثه الشريفة التى تعتبر درراً فى المعانى السامية للأخلاق قوله ﷺ فيما رواه الشيخان . رضى الله عنهما ، عن « أنس » رضى الله عنه :

« لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » .

وفيما رواه الشيخان عن « ابن عمر » رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرَّج عن مسلم كربة ، فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .

وفيما رواه « الترمذى » عن « أبى هريرة » رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولايخذله ، كل المسلم على المسلم

حرام . عرضه وماله ودمه . التقوى هاهنا – وأشار إلى صدره – بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » .

ويستفيض رسول الله ﷺ فيما ينبثق عن معانى « الأخوة » فيقول فيما رواه الشيخان عن « أبى موسى » رضى الله عنه :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا » .

ويقول فيما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

إن صلة المسلمين بعضهم ببعض صلة حب ومودة ورحمة وتعاطف ، وليس فيها من قرب أو من بعد صراع طبقات أو حث على صراع طبقات .

وقد نزلت الرسالة الإسلامية رحمة للعالمين . بقول الله تعالى :

(وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

إنها رسالة رحمة فى أساليبها وأسسها . وهى رسالة رحمة فى أهدافها وغاياتها ، فهل ترى فى جو الرحمة موضعًا لصراع الطبقات ؟

إن مبدأ صراع الطبقات يتعارض تعارضًا تامًا مع مبادئ الإسلام ، وإن المذهب الذى يقوم على بعث الحقد والكراهية فى نفوس العمال ضد أصحاب المشاريع ، وفى نفوس الأميين ضد المثقفين ، وفى نفوس العاطلين ضد العاملين ، والمذهب الذى يثير اضطرابًا فى جو العمل ، وفى جو الطلبة ، وفى جو النقابات ، إنما هو مذهب يتعارض جذريًا مع الجو الإسلامى ، ويتعارض جذريًا مع مصلحة الوطن .

ومع هذه البدهيات فى الجو الإسلامى ، فإنه لابد من بيان حقيقة سافرة

هى حقيقة الجهاد من أجل الوصول بالمجتمع إلى القمة التى عبر الله تعالى عنها بقوله :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

ومن أوصاف المؤمنين أنهم :

(الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) .

وأحاديث رسول الله ﷺ فى ذلك كثيرة موفورة نكتفى منها بالحديث الشريف التالى :

عن ابن « مسعود » رضى الله عنه – فيما أخرجه الإمام مسلم – أن رسول الله ﷺ قال :

« مامن نبى بعثه الله فى أمة قبلى ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون به ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

هذا الجهاد هو جهاد الحق فى مواجهة الباطل ، وهو جهاد الخير فى مواجهة الشر ، وهو جهاد الفضيلة فى مواجهة الرذيلة .

إنه جهاد فى مجال العقيدة ، وهو جهاد فى مجال الأخلاق ، وهو جهاد فى

مجال التشريع ، وهو جهاد فى مجال نظام المجتمع ، وهو جهاد لتنفيذ الإسلام جملة وتفصيلا .

إنه جهاد يعبر رسول الله ﷺ عن التمسك به بقوله الخالد :

« والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وهذا الجهاد إنما يقوم به على مر الزمن طائفة يعبر عنها رسول الله ﷺ بقوله فيما رواه « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه :

« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » .

وفى رواية أخرى عن « جابر » رضى الله عنه فيما أخرجه مسلم :

« لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » .

وفى رواية ثالثة فيما أخرجه البخارى ، ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه :

« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » وهذه الأقوال بمعنى واحد :

إن جهادهم لله وفى سبيل الله ، يستمدون مبادئه من القرآن الكريم ، ومن أقواله ﷺ . إنهم يستمدونها من إيمانهم بما أنزل الله تعالى على لسان خير الرسل ، صاحب هذه الرسالة الخالدة الخاتمة .

وهم يصارعون الباطل أينما وجدوه : يصارعونه فى العقيدة ، وفى كل مذهب مادى منحرف عن عقيدة الإسلام ، سواء تمثل فى ماركس أو فى لينين المنكرين لوجود الله تعالى ، ويصارعون الباطل فى كل المذاهب الأخلاقية التى تتنافى مع الإسلام سواء وجدت هذه المذاهب فى الشرق أو فى الغرب .

وهم يصارعون كل المذاهب الاقتصادية التى تهجم على المجتمع فتجرد جميع أفراده من كل ما يملكون : عتاداً ومالا . . . ، وكل ما اكتسبه الفرد بجهده وعرقه ، ولا تسمح له بمزاولة أى نشاط مالى حر .

وهم يستمسكون بالحق فى وجه كل منحرف عن التشريع الإسلامى : مدنيًا كان هذا التشريع أو جنائيًا .

وهذه الطائفة التى تقوم على الحق ، فيها الأثرياء والفقراء ، وفيها المثقفون فى أى مكان كانوا والكتاب من مختلف الطبقات .

إن سمة هذه الطائفة الأصيلة نضالها فى سبيل الحق .

وما كانت ثورة مولانا الإمام « الحسين » رضى الله عنه إلا ثورة العدالة فى وجه الظلم ، وثورة الحق فى وجه الباطل ، وما كانت قط صراع طبقات .

وبعد : فيقول رسول الله ﷺ :

« والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به » .

ويقول الله تعالى :

(ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) .